

أبو المظفر السمعاني ومنهجه في التفسير

بحث مقدم للمؤتمر القرآني الدولي السنوي مقدس (2)

إعداد/ أ.د. غالب محمد حامضي / رئيس قسم الكتاب والسنة

بجامعة أم القرى

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد / فإن من أجل العلوم وأشرفها, العلم بكتاب الله عز وجل, وفهمه وتدبره , وقد هيا الله لهذا الكتاب علماء ربانيين, سخرروا أوقاتهم , وفنوا أعمارهم في تفسيره وتدبر معانيه, ومن هؤلاء الأئمة الأعلام الإمام أبو المظفر السمعاني(ت489هـ) , وتفسيره يعد من التفاسير المتقدمة, التي ألفت في عصر مبكر, اعتمد فيه على ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين , ومما يمتاز به هذا التفسير أن صاحبه سلفي المعتقد , ولذلك قرر في تفسيره عقيدة السلف الصالح, والرد على مخالفها , وكذلك امتاز بالبعد عن التعصب المذهبي في المسائل الفقهية, والعناية بسياق النكات والفوائد في النظم القرآني ومعانيه النحوية والبلاغية.

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وفهارس.

المبحث الأول: في ترجمة أبي المظفر السمعاني.

المبحث الثاني: في منهجه في تفسيره.

المبحث الثالث : في المآخذ على تفسيره

## المبحث الأول : الإمام أبو المظفر السمعاني.

### المطلب الأول: اسمه ونسبه<sup>1</sup>.

الإمام أبو المظفر: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد ابن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع السمعاني<sup>2</sup>.

### مولده ونشأته:

ولد في ذي الحجة سنة ست وعشرين وأربعمائة هجرية بمرو - أشهر مدن خراسان - ونشأ في بيت علم ودين وزهد , فأبوه من أئمة الحنفية, ولذلك درس على يديه حتى برع في الفقه الحنفي<sup>3</sup>

### طلبه للعلم:

كان الإمام أبو المظفر ذا هممة عالية, وملكة قوية في الحفظ, فقد قال عن نفسه : (( ما حفظت شيئاً فنسيته<sup>4</sup> )) ولذلك حرص والده على تعليمه , فكان شيخه الأول , فنهل من علومه , حيث كان من أئمة الحنفية , فتفقه عليه وبرع في مذهب أبي حنيفة , قال عنه الإمام السبكي : سمع الحديث في صغره وكبره.<sup>5</sup>

ولم يقتصر في طلبه العلم على والده , بل تلقاه من علماء بلده , فأخذ عنهم التفسير والحديث والعقيدة والفقه وأصوله<sup>6</sup>.

### المطلب الثالث: رحلاته.

لم يكتف الإمام السمعاني بعلماء بلده, بل رحل إلى جرجان وهمدان وقزوين والري<sup>7</sup>, فاستفاد من علماء تلك المدن, وسمع الأحاديث النبوية من كبار المحدثين هناك.

<sup>1</sup> - ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (114/19-119) طبقات المفسرين للداوي(2/329) طبقات الشافعية الكبرى (5/335-346)

<sup>2</sup> - يفتح السين وسكون الميم وفتح العين نسبة إلى سمعان وهو بطن من تميم ( الأنساب 3/298)

<sup>3</sup> - سير أعلام النبلاء(115/19)

<sup>4</sup> - السير (119/19)

<sup>5</sup> - طبقات الشافعية للسبكي (5/335-336)

<sup>6</sup> - السير(115/19)

<sup>7</sup> - أنظر التدوين في أخبار قزوين(4/119)

ولم يقنع بهذا بل رحل إلى بغداد وتلقى العلم من علمائها<sup>1</sup>, ثم رحل إلى الحجاز وبقي هناك يتلقى العلم من علماء مكة , وأدى فريضة الحج , ثم عاد إلى خرسان ودخل مرو سنة ثمان وستين وأربعمائة<sup>2</sup>.

### المطلب الرابع: انتقاله من مذهب الحنفية إلى مذهب الشافعية.

لعل من الأسباب التي جعلت الإمام السعدي ينتقل إلى المذهب الشافعي الرؤيا التي رآها في منامه , حيث يقول: لما اختلج في ذهني تقليد الشافعي, وزاد التردد عندي , رأيت رب العزة جل جلاله في المنام فقال: ((عد إلينا يا أبا المظفر )) فانتهت وعلمت أنه يريد مذهب الشافعي فرجعت إليه<sup>3</sup>, إضافة إلى ملازمته للإمام سعد الزنجاني , والذي كان شافعي المذهب .

وهناك سبب آخر لانتقاله من المذهب الحنفي إلى الشافعي , وهو تغلب أفكار القدرية على علماء المذهب الحنفي آنذاك , وقد صرح الإمام بهذا لأخيه أبي القاسم لما لامه وهجره, وأظهر له الكراهة, وقال للإمام : خالفت مذهب الوالد وانتقلت عن مذهبه, فرد عليه قائلاً: ( ما تركت المذهب الذي كان عليه والدي -رحمه الله -في الأصول بل انتقلت عن مذهب القدرية , فإن أهل مرو صاروا في أصول اعتقادهم إلى أهل القدر))  
وصنف كتابا يزيد على عشرين جزء في الرد على القدرية , وأهداه إليه فرضي عنه وطاب قلبه<sup>4</sup> .

### المطلب الخامس : شيوخه وتلاميذه :

لا يمكن في هذا البحث المختصر إحصاء كل شيوخه وتلاميذه لكثرتهم , ومما يدل على ذلك قول ابن خلكان : ((إن أبا المظفر جمع في الحديث ألف حديث عن مائة شيخ<sup>5</sup>)) وهذا في الحديث وحده, فكيف ببقية العلوم الأخرى.

<sup>1</sup> - انظر معجم البلدان لياقوت الحموي (93/4) وطبقات السبكي(344/5)

<sup>2</sup> - طبقات الشافعية للسبكي (337/5)

<sup>3</sup> - طبقات الشافعية الكبرى(338/5)

<sup>4</sup> - المرجع السابق(344/5)

<sup>5</sup> -وفيات الأعيان (211/2)

وأما تلامذته فهم أيضا كثر , ولعلي أكتفي بقول حفيده: ( روى لي الحديث عنه جماعة كثيرة تريد على خمسين نفرا<sup>1</sup> ) هذا عدد تلامذته الذين سمعوا منه الحديث , ثم سمع منهم حفيده. وهذا في علم الحديث فقط فكيف ببقية العلوم الأخرى.

### المطلب السادس : مؤلفاته:

من أهم مؤلفاته:

أ- في التفسير : وهو الكتاب الذي سأتكلم عن منهجه فيه , قال ابن العماد الحنبلي: (وله تفسير جيد حسن<sup>2</sup>). وقال أبو سعد بن السمعاني : (صنف التفسير الحسن المليح الذي استحسنته كل من طالعه)<sup>3</sup> وهو كتاب مطبوع.

ب- في الحديث :

1- الأحاديث الألف الحسان<sup>4</sup>.

2- الأمالي في الحديث<sup>5</sup>.

ج- في العقيدة :

1- كتاب الرد على القدرية<sup>6</sup>.

2- منهاج أهل السنة<sup>7</sup>.

3- الانتصار لأصحاب الحديث<sup>8</sup>.

د- في الفقه<sup>9</sup>.

---

<sup>1</sup>- الأنساب(225/7)

<sup>2</sup>-شذرات الذهب (393/3)

<sup>3</sup>-الأنساب (298/3)

<sup>4</sup>-هدية العارفين (473/2)

<sup>5</sup>-سير أعلام النبلاء(116/19)

<sup>6</sup>-الأنساب (298/3)

<sup>7</sup>-المصدر السابق

<sup>8</sup>-المصدر السابق

<sup>9</sup>-المصدر السابق

1- البرهان

2- الأوسط

3- الاصطلام.

ه)- في أصول الفقه<sup>1</sup>:

له كتاب واحد في هذا الفن وهو : قواطع الأدلة.

والموجود من مصنفاته التفسير والاصطلام وقواطع الأدلة , وكلها مطبوعة.

**المطلب السابع: ثناء العلماء عليه:**

كل من ترجم لأبي مظفر أشاد بجهوده العلمية , وأثنى عليه , قال عنه إمام الحرمين: ( لو كان الفقه ثوبا طويا لكان أبو المظفر طرازه)<sup>2</sup>.

وقال عنه حفيده أبو سعد : ( إمام عصره بلا مدافعة , وعديم النظر في وقته, ولا أقدر أن أصف بعض مناقبه , ومن طالع تصانيفه وأنصف, عرف محله من العلم<sup>3</sup>.

وقال عنه الذهبي: ( تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة. وكان شوكا في أعين المخالفين , وحجة لأهل السنة<sup>4</sup>.

وقال ابن خلكان : ( إمام عصره بلا مدافعة , وعديم النظر في وقته....)<sup>5</sup>

**المطلب الثامن: عقيدته:**

بالنظر إلى تفسير الإمام السمعاني نجده ملتزما بعقيدة أهل السنة والجماعة, تلك العقيدة القائمة على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم , فهو سلفي المعتقد ,

<sup>1</sup> -المصدر السابق

<sup>2</sup> -السير (118/19) طبقت الشافعية(342/5)

<sup>3</sup> -الأنساب (299/3)

<sup>4</sup> -السير(116/19)

<sup>5</sup> - وفيات الأعيان(211/3)

فقد وافق السلف في جميع المسائل الاعتقادية , وقد مرّ معنا قول الإمام الذهبي : تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة , وكان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة.

### المطلب التاسع: وفاته:

توفي رحمه الله في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة , ودفن في إحدى مقابر مرو<sup>1</sup> .

## المبحث الثاني

### منهجه في تفسيره

سار الإمام السمعاني في تفسيره للقرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة والتابعين , واهتم بهذا الأمر كثيرا, إضافة إلى الأدوات التي لا غنى للمفسر عنها, كعلوم القرآن , والقراءات وعلم اللغة وغيرها , ولعلي أجمل منهجه في المطالب التالية:

### المطلب الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

اعتنى الإمام السمعاني بتفسير الآيات القرآنية بآية أخرى , وهذا النوع واضح وجلي في تفسيره.

فعندما فسر قوله تعالى (( وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا )) [الأعراف: ١٣٧] قال : وتلك الكلمة وعده الذي وعدهم , وذلك في قوله ((ونريد أن نن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)) [القصص: ٥] فلما أورثهم تلك الأرض وأنجزهم ذلك الوعد قال (( وتمت كلمة ربك )) أي تم وعده لهم<sup>2</sup> .

ومن ذلك أيضا ما جاء عند تفسير قوله تعالى (( وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم

<sup>1</sup>- وفيات الأعيان(211/3)  
<sup>2</sup>-التفسير(210-209/2)

إذا مثلهم)) [النساء: ١٤٠] قال السمعاني : (( هذا إشارة إلى ما أنزل في سورة الأنعام  
( ( وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم)) [الأنعام: ٦٨]<sup>1</sup> .

### المطلب الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

فسر الإمام السمعاني القرآن بالأحاديث النبوية , ومن ذلك ما جاء عند تفسيره لقوله  
تعالى (( فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك))  
[البقرة: ١٩٦] حيث أورد حديث كعب بن عجرة الذي في بيان معنى الفدية , فقال :  
عن كعب بن عجرة أنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ,  
وكنت أنفخ تحت القدر , والقمل يتهافت على وجهي فقال صلى الله عليه وسلم : ما  
هذا ؟ احلق رأسك , واذبح شاة , أو صم ثلاثة أيام , أو أطعم ستة مساكين<sup>2</sup> . فهذا  
معنى قوله ((فدية من صيام أو صدقة أو نسك))<sup>3</sup>

### المطلب الثالث: تفسيره للقرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

اعتمد الإمام السمعاني في تفسيره على الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين مع اعتماده  
على الكتاب والسنة .

فعند تفسير قوله تعالى (( والمستغفرين بالأسحار)) [آل عمران: ١٧] أورد أقوال  
الصحابة في بيان معنى الآية فقال : قال ابن عباس : هم المصلون بالليل . وقال أنس : هم  
السائلون بالمغفرة . وقال زيد بن أسلم : هم المصلون صلاة الصبح في الجماعة . وإنما قيده  
بالأسحار لقرب صلاة الصبح من السحر<sup>4</sup> .

### المطلب الرابع: عنايته بالقراءات.

اعتني الإمام السمعاني في تفسيره بالقراءات القرآنية سواء كانت صحيحة أم شاذة ,  
ولا يكتفي بهذا بل يرجح ويوجه.

<sup>1</sup> - التفسير (492/1)

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب قول الله تعالى (( فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة  
أو نسك)) (208/2).

<sup>3</sup> - التفسير (197/1)

<sup>4</sup> - التفسير (301/1)

ومن ذلك ما جاء في تفسيره عند قوله تعالى (( وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين )) [البقرة: ١٨٤] قال : في الآية قراءات : فالقراءة المعروفة هذا , وقرأ ابن عباس وعائشة - وهو صحيح عن ابن عباس- (( وعلى الذين يطوقونه )) . وقرأ مجاهد ( وعلى الذين يطوقونه ) . وهما في الشواذ<sup>1</sup> .

وعند تفسير قوله تعالى (( وبدلناهم بجنّتهم جنّتين ذواتي أكل خمط )) : (سبأ: ١٦) حيث قال (( أكل خمط )) بتنوين اللام , وقرئ (( أكل خمط )) بغير التنوين على الإضافة , والقراءة على الإضافة أظهر القراءتين في المعنى , لأنّ الخمط اسم لشجر له شوك<sup>2</sup> .

وعند تفسير قوله تعالى (( أَلَّا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء )) [النمل: ٢٥] قال : قوله (( أَلَّا يسجدوا لله )) وقرئ (( ألا يسجدوا لله )) مخففا , فأما من قرأ (( أَلَّا )) مشددا فمعناه قصدهم عن السبيل ألا يسجدوا , يعني لثلا يسجدوا , وقيل معناه: (وزين لهم الشيطان أعمالهم ألا يسجدوا ) وعلى هذه القراءة : لا سجود عند تلاوتها , هكذا ذكره أهل التفسير , وأما قراءة التخفيف فمعنى قوله (( ألا يسجدوا )) أي : ألا يا هؤلاء اسجدوا<sup>3</sup> .

### المطلب الخامس: عنايته بمباحث علوم القرآن في تفسيره.

اهتم السمعاني في تفسيره بمباحث علوم القرآن , فعند تفسيره لسورة المائدة يقول : سورة المائدة مدنية كلها إلا قوله تعالى (( اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً )) [المائدة: ٣] فإنه نزل بعرفات<sup>4</sup> .

وفي تفسيره لسورة القصص يقول : وفي هذه السورة آية ليست بمكية ولا مدنية وهي قوله تعالى (( إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد )) [القصص: ٨٥] نزلت هذه الآية بين مكة والمدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وهو منزل من المنازل , وذلك حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> -التفسير (180/1)

<sup>2</sup> -التفسير (326/4)

<sup>3</sup> -التفسير (91-90/4)

<sup>4</sup> -التفسير (5/2)

<sup>5</sup> -التفسير (120/2)

ومن هذين النموذجين يظهر لنا أن السمعاني يرى في معنى المكي والمدني باعتبار المكان, فالمكي عنده ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة.

ومن الأمثلة على ذكر أسباب النزول في تفسيره ما ذكره عند تفسير قوله تعالى (( ومنهم من يلمزك في الصدقات )) [التوبة: ٥٨] قال : سبب نزول الآية أن ذا الخويصرة التميمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم , فقال: يا رسول الله اعدل ؛ قال: فمن يعدل إن لم أعدل ؛ ثم قال: يخرج من ضئضي هذا أقوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم, يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية<sup>1</sup> فأنزل الله تعالى هذه الآية.<sup>2</sup>

### المطلب السادس: موقفه من الإسرائيليات .

الإمام السمعاني كغيره من المفسرين لم يستطع التخلص من تلك الروايات الإسرائيلية بل يسوقها بدون نقد أو تعقيب , فمثلا يقول عند تفسير قوله تعالى (( إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة )) [ص: ٢٣] إن داود عليه السلام كان قد خصص أياما لعبادة الله , وأياما للقضاء , وأياما للجلوس مع الناس , وأياما لأزواجه , وفي يوم من الأيام كان يتلو التوراة والزبور, فإذا هو بطائر عليه اللألئ , فطمع داود في تلك اللألئ والألماس , وأراد أن يمسكه فطار الطائر , وطار داود عليه السلام, فرأى فجأة أمامه امرأة حسناء كانت تغتسل وهي عارية , فوقع حبها في قلبه , وسأل عنها , ثم أرسل زوجها إلى الجهاد , ودبر خفيا أن يقدم الرجل في الجيش كي يقتل , فقتل , وبعد ذلك تزوج داود عليه السلام بها<sup>3</sup>. ثم ذكر الإمام السمعاني أن داود عليه السلام ندم على ذنوبه, وخر ساجدا باقيا في سجده أربعين يوما, لم يرفع رأسه حتى نبت العشب حوله , وظل باقيا, لم ينقطع عنه الدموع عند مأكله وملبسه ومنامه , ومع ذلك إذا قام يوم القيامة تكون ذنوبه منحوتة على كفيه<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> -أخرجه البخاري كتاب استنابة المرتدين والمعاندين وقتالهم , باب من ترك قتال الخوارج.(52/8-53)

<sup>2</sup> -التفسير(319/2)

<sup>3</sup> -التفسير(164/3)

<sup>4</sup> -التفسير (165/3)

فهل يمكن لأي عاقل أن يصدق أن نبيا أكرمه الله بالنبوة يطمع في مال طائر لا يساوي شيئا مما آتاه الله , أو يقع في عشق امرأة ويدبر مؤامرة لقتل زوجها.  
وكان حريا بالإمام السمعاني - وهو إمام في الحديث - أن ينبه - عند رواية مثل هذه الروايات التي تمس عصمة الأنبياء - على زيفها وبطلانها.

### المطلب السابع: التزامه بعقيدة السلف في تفسيره.

قرر الإمام السمعاني عقيدة السلف من خلال تفسيره للآيات المتعلقة بذلك, فمن ذلك عند قوله تعالى (( وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون )) [الأنفال: ٢] حيث قال: وهذا دليل لأهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص<sup>1</sup>.

وكذلك في الأسماء والصفات سار فيها على منهج السلف , يثبت ما أثبتته الله لنفسه من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف ولا تحريف<sup>2</sup>.

### المطلب الثامن : عنايته بالجوانب اللغوية.

اعتنى الإمام السمعاني عناية كبيرة ببيان المعاني اللغوية لمفردات الآيات القرآنية , وقد أكثر من ذلك في تفسيره , فمثلا عند قوله تعالى (( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة )) [البقرة: ٤٣] قال: وأما الزكاة فمأخوذ من زكا الزرع , إذا كثر ونما , وقيل هي من تركى أي تطهر , وكلا المعنيين موجودة في الزكاة المفروضة لأن فيها تنمية المال وتطهيره.<sup>3</sup>

### المبحث الثالث: ما يؤخذ على تفسير السمعاني.

<sup>1</sup>- التفسير (248/2)

<sup>2</sup>- انظر ما ذكره في تفسيره (51/1)(480-387/4)

<sup>3</sup>- التفسير (73/1)

من المعلوم أن تفسير الإمام السمعاني من كتب التفاسير القيمة و الحسنة , فهو يحمل عديدا من الفوائد , وقد أثنى عليه كثير من العلماء , ولكن الكمال لله وحده , وكل تفسير لا يخلو من المأخذ . ومن أهم المآخذ التي أخذت عليه في تفسيره ما يلي:

أولا: إيراده لبعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة دون أن ينبه على ضعفها ووضعها.

ثانيا : إيراده للأخبار الإسرائيلية دون أن ينبه عليها.

ثالثا: ذكره للأحاديث الصحيحة بصيغة التمریض.

رابعا: عدم عزو الأقوال إلى قائلها.

خامسا: الإحالة على ما سبق بيانه في معنى الآية دون ذكر الموضوع المحال عليه, فلا يصرح بالموضوع بل يكتفي بقوله : قد بينا أو قد ذكرنا ذلك من قبل.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج:

- 1- جمع الإمام السمعاني في تفسيره بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي وإن كان المأثور هو الغالب عليه.
- 2- عنايته بالقراءات القرآنية وبيان الشاذ منها والاستعانة بها في تفسير الآيات.
- 3- اهتمامه بالتوجيه النحوي اهتماما بالغا.
- 4- التزامه في تفسيره للآيات العقدية بالمنهج السلفي.
- 5- اشتغال تفسيره على جملة من النكات واللطائف التفسيرية التي تتعلق بالآيات القرآنية.

## فهرس المراجع

- الأنساب لأبي سعد السمعاني , تقديم وتعليق عبد الله البارودي ط الأولى 1408 دار الفكر.
- التدوين في أخبار قزوين.
- التفسير لأبي المظفر السمعاني, ط دار الوطن الرياض 1417هـ.
- سير أعلام النبلاء للذهبي , نشر مؤسسة الرسالة بيروت, ط 10
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب, لابن العماد الحنبلي ط, دار المسرة بيروت.
- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري دار ابن كثير اليمامة بيروت 1407هـ
- صحيح مسلم دار إحياء التراث العربي, بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي, تحقيق محمود, وعبد الفتاح حلوه, ط الأولى 1386هـ مطبعة عيسى البابي .
- طبقات المفسرين للداودي, تحقيق علي محمد عمر, ط الأولى 1392هـ مطبعة الاستقلال
- معجم البلدان لياقوت الحموي , دار الكتب العلمية بيروت.
- هدية العارفين, لإسماعيل باشا , نشر دار العلوم الحديث بيروت.
- وفيات الأعيان لابن خلكان , ط دار احياء التراث بيروت.

